مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٢)، العدد (٢)، ص ص ٣٥٧-٣٩٢ (يوليو ٢٠٠٩م / رجب ١٤٣٠هـ)

استشراف المستقبل بين الشريعة والخُرافة

صالح بن عبدالعزيز التويجري
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم

(قدم للنشر ١٤٢٩/١١/٢٤هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣٠/٦/١٣هـ)

ملخص البحث. بما أن التطلع إلى المستقبل والتشوُّف إلى معرفته أمر فطرت عليه النفوس جميعا، فإن هذه الحاجة الفطرية في النفوس لمعرفة الغيب دفعت كلَّ أحد إلى أن يسلك طريقا لمعرفته بحق أو بباطل فاختلط الحق بالباطل. ومن المدهش في ظل غياب التفكير الجاد في أمر المستقبل، سواءً كان المستقبل الشخصي للفرد في حياته العملية والاقتصادية والاجتماعية، أو المستقبل العام للأمة أو مجتمعاتها أن تجد حضوراً مذهلاً للكهنة والعرافين والمنجمين، وفي هذا البحث أراد الباحث أن يجعل منه تأصيلاً شرعياً لقضية استشراف المستقبل، من خلال:

أولاً: المستقبل وتعريفه، والمراد به ، وبيان سبب اهتمام الناس به، ونظرة الشرع إليه، وطرق استشرافه.

ثانياً: الخرافة، تعريفها ، وأسباب ظهورها ، ومصادرها، ومظاهر لتسويقها مع طرح وسائل مدافعتها والقضاء عليها، وكونها أحد الوسائل غير الشرعية لمحاولة استشراف المستقبل.

ثالثاً: استشراف المستقبل عن طريق النهوض به ، مع بيان أهم النوافذ الشرعية التي يمكن من خلالها الإفادة منه: وهي النظرة التفاؤلية، والتأمل في السنن الكونية لا سيما فعل الأسباب، مع حسن التخطيط ، وقراءة البوادر والمقدمات، والرؤيا الصالحة، والاستفادة من الماضي والحاضر.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

أهمية البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

إن التطلع إلى المستقبل والتشوُّف إلى معرفته أمر فطرت عليه النفوس جميعا، فليس من البشر أحد إلا ويتطلع إلى معرفة ماذا سيكون له أو لغيره أو لأمته في المستقبل، وهذا أمر خلقه الله - سبحانه وتعالى- في النفوس، وهو من حكمة الله عز وجل، ولقد بيّن لنا الله - تبارك وتعالى- أصلاً كلياً من أصول هذا الدين، يجب على كل مسلم اعتقاده، وهو أنه لا يعلم الغيب إلا الله، حيث قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "مفاتح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير"(١).

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: "من زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يُخْبِر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]" (٢).

قال عبدالله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ): "المفاتح جمع مِفْتَح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال "(٣).

ومن فضل الله - تبارك وتعالى- أنه أطلع بعض رسله وبعض أوليائه على شيء من الغيب، كما قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧] وذلك ما أخبر الله به الأنبياء مما أطلعهم عليه من أمور الغيب مما سيقع، وتبقى أمور هي من الغيب المطلق اختص الله - تبارك وتعالى- بعلمها لا يطلع عليه أحداً، والمقصود أن هذه الحاجة الفطرية في النفوس لمعرفة الغيب دفعت كلَّ أحد إلى أن يسلك طريقا لمعرفته بحق أو بباطل فاختلط الحق بالباطل.

---

(١) رواه البخاري، ح (٤٣٥١).

(٢) رواه مسلم، ح (١٧٧).

(٣) تفسير النسفي ١/٣٢٦.

وهذا شأن كل قضية من القضايا الاعتقادية كالإيمان بالله وملائكته والإيمان بالقدر وغيرها من الأمور التي ضلّ فيها الناس واختلفوا، مع أن الحق فيها واضح قائم والحمد لله.

وهذا ما انتهجه الغرب اليوم حتى أبدعوا فيه، حيث العناية بدقة المعلومة، وحسن توظيفها، ودراسة كافة الاحتمالات والتحولات، لا رجماً بالغيب، ولا ظناً وتخرصاً؛ بل بناءً على استقراء النواميس والسنن، والاعتبار بمعطيات اليوم، وتجارب الأمس مما يمكن فيه ذلك.

والمسلمون اليوم يعيشون أزمات متلاحقة تضرب في جوانب حياتهم، وفي معظم دولهم، ويصح أن نقول: إن الأزمة في حقيقتها مستقرة في ذواتنا وشخوصنا، وما الأزمات الطارئة إلا بعض مظاهرها وآثارها، وكأن العالم الإسلامي في حالة مخاض متواصلة يعاني متاعبها وآلامها، ويدفع ثمنها، ولا يبصر لها نهاية، إلا من رحم ربك.

فما الذي آل بالمسلمين لهجر هذه الصناعة وقد توفر لهم مرجعية تؤسس القواعد والمنطلقات، في حين أبدع الغرب وتفوق، وأنشأ المعاهد ومراكز الأبحاث والإحصائيات، وحتى باتت الدراسات الحديثة والدورات التي تتحدث عن التخطيط وتحديد الأهداف وتحسين طرق التفكير في أوطاننا اليوم محل إهمال وانتقاد.

إن من المدهش في ظل غياب التفكير الجاد في أمر المستقبل، سواءً كان المستقبل الشخصي للفرد في حياته العملية والاقتصادية والاجتماعية، أو المستقبل العام للأمة أو مجتمعاتها أن تجد حضوراً مذهلاً للكهنة والعرافين والمنجمين، يفيضون على الناس خليطاً من التجربة العادية، ومن وحي الشياطين، ومن الخداع والاستغفال، وهذا ما يشاهد اليوم في برامج الحظ والأبراج، في القنوات الفضائية أو الإذاعات أو الصحف، وهو ما تجده أيضاً في الزوايا المظلمة التي يقبع فيها السحرة ومستخدمو الجن والمشعوذون حيث تذبح الأديان والعقول، وتهدر الأموال بلا حساب.

فهل يستمع المعنيون إلى أصوات الرشد التي تدعو إلى تجاوز الماضي، ومواكبة الأحداث، وتطوير الذات، والامتثال لمخاطبات التغيير الناصحة المشفقة ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

المستقبل

المبحث الأول: تعريف المستقبل

تعريف المستقبل في اللغة

أصل كلمة المستقبل من: (قبل) والقبل بضم الباء وسكونها: ضد الدبر.(٤)

والذي يتصل بما نريده من المعاني اللغوية ما يلي:

القابلة: ويراد بها الليلة المقبلة.

وقبالته: وتعني تجاهه.

والاستقبال: وهو ضد الاستدبار.(٥)

والمستقبل في الاصطلاح هو: ما يترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه.(٦)

وفي الفلسفة: المستقبلية: نزعة نحو الجديد والمجهول والمستقبل، أساسها الخروج على المألوف والرغبة والمغامرة، ولها شأنها في علم الجمال، وامتد أثرها إلى مجال السياسة والأخلاق(٧).

المبحث الثاني: ماذا نريد بالمستقبل (قراءته ، استشرافه ، الاستعداد له)

عند سماع كلمة المستقبل، يتبادر إلى الأذهان معانٍ كثيرة منها: الأمل، والصبر، والشروق أو الغروب، حتى الغد المجهول ... وقد يرتبط عند البعض بشخص أو واقعة أو مكان أو مطلب، أو بالسعادة أو العزيمة أو المصابرة، وقد يرتبط بمال أو منصب أو سلطان. وقد يربط الواقع أو المستقبل بالماضي، والماضي بالواقع والمستقبل.

ومن خلال استقراء النصوص الشرعية والتجارب الواقعية يمكننا تحديد ما نعنيه من كلمة المستقبل، فيقال:

المستقبل هو الغد الذي نخطط له اليوم.

والمجهول الذي نسمع عن إشراقة نور الحق فيه.

وهو تلك الثمرة التي نبدأ زراعة شجرتها الآن.

ثم لن يكون أفضل إلا بجيل يتربى على منهج دينه الصحيح، ويتصف بأخلاقه وقيمه.

---

(٤) مختار الصحاح، الرازي ص ٥٦٠.

(٥) مختار الصحاح، الرازي ص ٥٦٠.

(٦) التعريفات ، الجرجاني ص ٢٧٢.

(٧) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ١٨٢.

المبحث الثالث: المستقبل والغيب

الغيب في اللغة: كل ما غاب عن العيون ، وإن كان محصلاً في القلوب . (٨)

وفي الاصطلاح: وردت مادة الغيب في الكتاب والسنة ، في ستة وخمسين موضعاً وأهم المجالات التي ذكر فيها الغيب هي :

أولاً : ما غاب عن الحواس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣].

ثانيا : أن الله عالم الغيب ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣].

ثالثاً : القصص الماضية من الغيب الذي لا يعلمه الرسول - رصلى الله عليه وسلم- كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤].

رابعاً : عدم إطلاع الله الناس على الغيب ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩].

خامساً : وصف المؤمنات بحفظ أنفسهن في غيبة أزواجهن ، قال تعالى : ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤].

سادساً : من صفات المؤمنين خشية الله بالغيب ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الأنبياء : ٤٩].

سابعاً : نفي علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - للغيب ، قال تعالى على لسان نبيه : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ (٥٠) سورة الأنعام [الأنعام : ٥٠].

ثامناً : إن للغيب مفاتح ، قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الإنعام : ٥٩]. (٩)

يتلخص مما سبق أن الغيب في القرآن هو ما غاب عن الحواس ، وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعلمه أحد ؛ إلا من أطلعه الله على شيء منه.

---

(٨) لسان العرب ، ابن منظور ١/٦٥٤.

(٩) الإيمان بالغيب ، بسام سلامة ص٣٢.

والغيب باعتبار علمه ومعرفته ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

النوع الأول: يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم، كالجن بما أعطاهم الله تعالى يعرفون أشياء لا نعرفها ، وهو غيب الماضي أما المستقبل فلا ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤]، والإنسان بالنسبة لأخيه يعرف بعض ما يجهله.

والنوع الثاني: يمكن أن يعلمه بعض الخلق بالبحث والاكتشاف كالمجهول من العلوم والقوانين الكونية والمناطق البعيدة والكواكب السماوية.

والنوع الثالث: لا يمكن أن يعلمه أحد من المخلوقات، وهو النوع الذي أشار إليه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]. كعلم الساعة مثلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤].(١٠)

وينقسم الغيب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام أيضا

غيب الماضي

كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها ، والماضي هو لحظة تخرج من إطار الحاضر. ومن هذا قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [الروم: ٢]. وعلم هذا النوع بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي، فما يجهله بعضُ الناس يعرفه آخرون.

وغيب الحاضر

كتسجيل الملائكة للأعمال حيث إن كل ما لا يقع تحت حواسنا فهو من غيب الحاضر، فما يجري الآن في دولة أخرى أو في الشرق أو الغرب غيب بالنسبة لنا، إلا أنه يمكن معرفته بوسائل الإعلام التي تنقل مباشرة.

وغيب المستقبل

الساعة، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. وما أخبر به الأنبياء هو بإطلاع الله تعالى لهم عليه قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ [يونس: ٢٠].(١١)

المبحث الرابع: النصوص الشرعية الواردة في المستقبل

إن الانشغال بالمستقبل، والتطلع إليه، والاستعداد له بحسن التخطيط، وتكوين الرؤية الشرعية المؤسسة على منهجية تحترم العقل وتحضه على الاستنباط ليس هو مما فطر عليه الإنسان فقط ؛ بل من مقاصد الشريعة في

---

(١٠) انظر هذا التقسيم في : الإيمان بالغيب، بسام سلامة ص٣٢، عالم الغيب والشهادة، عثمان ضميرية ص ٧٥.

(١١) انظر هذا التقسيم أيضاً في : الإيمان بالغيب، بسام سلامة ص٣٣.

حفظ الحياة البشرية وضمان استمرارها على نحو تعمر به الأرض، فهي لا تقوم على الماضي والحاضر فقط وترك المستقبل نهباً للتوقعات الفوضوية والتنجيم والرجم بالغيب.

ومن خلال النصوص الشرعية نلحظ تربية المسلم على ذلك، وفيما يلي سنستعرض بعض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في استشراف المستقبل، والتطلع إليه، والاستعداد له، وأن ذلك من مقاصد الشريعة.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الروم١- ٥٤].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: " كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أما إنهم سيغلبون، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: ألا جعلته - أراه قال- دون العشرة، قال: فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ - إلى قوله - وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾".[١٢]

النصوص الشرعية من القرآن

وقال الله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ۝١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما - : "كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود؛ فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بضعة عشر شهرًا، وكان يحبُّ قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله، وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾، فارتابت من ذلك اليهود وقالوا كما حكى الله عنهم في كتابه: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢]".[١٣]

---

(١٢) رواه الترمذي، ح (٣١٩٣)، وأحمد في مسنده ٢٧٦/١، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤٤٥/٢، والطبراني في المعجم الكبير ٢٨/١٢، وصححه الألباني، صحيح الترمذي ح (٢٥٥١).

(١٣) تفسير ابن كثير ٢١٨/١.

ففي الآية وسبب النزول إشارة واضحة إلى استشراف النبي - صلى الله عليه وسلم- لمستقبل يرضاه، وتحقق له مخالفة أهل الكتاب، في استقبال البيت الحرام بمكة، بعد موافقته أهل الكتاب في استقبال بيت المقدس.

وفي مقام تهديد المعرضين، وإقامة الحجة على المكذبين للرسل، يأتي الأمر باستشراف المستقبل، وانتظار سنة الله المتحققة في كل من أعرض عن رسالات الله، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ١٠٢].

النصوص الشرعية من السنة النبوية

ثبت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في المستقبل ومن ذلك أخبار الفتن التي تقوم قبل يوم القيامة وأشراط الساعة، وذكر مثل هذا النوع من الأحاديث من النبي ﷺ ليربي أصحابه ويعلمهم ويوجههم إلى المستقبل بالتخطيط له وتوقع كل الاحتمالات الإيجابية أو السلبية والاستعداد لها قبل وقوعها. كما قال عليه الصلاة والسلام: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال"(١٤).

وعَنْ حُذَيفَةَ - رَضِي اللَّه عَنْه- قَالَ: "لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ؛ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُهُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ".(١٥)

يقول القاضي عياض بن موسى اليحصبي المراكشي رحمه الله (٥٤٤هـ): " لقد أخبر النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، حتى بلغت حدَّ التواتر المعنوي "(١٦).

المبحث الخامس: سبب اهتمام الناس بالمستقبل

إن ظاهرة اهتمام الناس بكل ما يتعلق بمعرفة المستقبل هي من إفرازات الواقع الاجتماعي الكثيرة والمتعددة والتي تبرز عادة في أوقات الأزمات الاقتصادية والحروب والكوارث الطبيعية والتي تؤدي إلى عدم استقرار الأوضاع الاجتماعية والنفسية ، كما أنها نزعة فطرية .

وربما يلجأ الناس إلى التشبث بعالم الغيبيات والروحانيات للهروب من الواقع الأليم الصاخب الذي يسوده الظلم والدمار والخراب والاستبداد وافتقاد الأمن إلى عالم آخر أكثر استقراراً وأمنا وسعادة، وبسبب ذلك في حالات كثيرة ترى الناس على مختلف شرائحهم يتشبثون بأمور تتعلق بالغيب بعيدة عن واقع الحياة، ويسلكون

---

(١٤) رواه مسلم، ح (٨٠٩)، وأحمد في مسنده ٤٤٦/٦.

(١٥) رواه مسلم، ح (٦٢٣٠).

(١٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٣٣٦/١.

طرقاً ممنوعة شرعاً. في محاولة لاستكشاف الغيب ومن ذلك قراءة الكف والفنجان، وكشف الطالع عن طريق الأبراج، والتهافت على الكهنة والعرافين.

الأمور التي تشكل قلقاً لمعظم الناس: (الصحة والرزق والخوف والأمن)

وردت النصوص الشرعية في حصر المخاوف الأساسية التي تقلق الإنسان في الحياة الدنيا من خلال نفي وجودها في الجنة ، تأكيداً لكمال النعيم وأبديته، وإكراما من الله لأهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: " ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ".[١٧]

إن الخوف من المجهول أمر فطري، والمجهول من المستقبل ، حتى نحيط به علماً فيصبح حاضراً نتعامل معه على بصيرة، وفي هذا تتفاوت أقدار الخلق.

ثم إن النبي ﷺ قد أشار إلى هذه الأمور التي تسبب القلق لكل البشر ويلجئهم إلى طرق كل باب يحسبون أن فيه الحل لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والأمنية في قوله صلى الله عليه وسلم : "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافًا في جسده، عنده طعام يوم فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"[١٨].

قال عبدالرؤوف المناوي (١٠٣٠هـ): أي من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملكها ملك الدنيا.[١٩]

إن من الأسباب المهمة لميل الناس نحو مثل هذه الخرافات هي: الاعتقادات الخاطئة - التي منشؤها الجهل والأمية - في مجالات الحياة المتعددة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية، والأزمات الحادة والحروب والكوارث الطبيعية التي تمر على الناس، كل هذا، يؤدي إلى العجز - بسبب الجهل، وضعف اليقين - وعدم القدرة على التعبير عن النفس ولجوء الإنسان للخرافة. ويزداد انتشار الخرافات كلما زادت ظروف الحياة صعوبة، وكلما زادت الأخطار التي تهدد كيان الجماعة، أي أن الخرافات والمعتقدات الخاطئة تكثر وتعم وتنتشر بانتشار حالات القلق والاضطراب والشعور بالضعف والعجز عن مواجهة المشكلات الحياتية ومخاطرها.

---

(١٧) رواه مسلم ح (٢٨٣٧) ، والترمذي ح (٣٢٤٦).

(١٨) رواه الترمذي، ح (٢٣٤٦) ، والبخاري في الأدب المفرد ١١٢/١ ، وابن حبان في صحيحه ٤٤٥/٢ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٠٨/٥.

(١٩) فيض القدير، المناوي ٦٨/٦ ، تحفة الأحوذي، المباركفوري ٩/٧.

المبحث السادس: نظرة الشرع إلى المستقبل

إذا كان الإنسان مجبولاً على التطلع للمستقبل، واستقراء أحداثه وتحولاته، في حدود الممكن ، فإن الشريعة قد أقرَّت في هذا الباب ما كان نافعاً للعباد مبنياً على معرفة النتائج من أسبابها، يدل على ذلك ما جاء في قصة يوسف - عليه السلام- كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ يوسف: [٤٧-٤٩] ومن هذه الآيات الكريمة وفي هذا التأويل النبوي للرؤيا رؤية مستقبلية ناضجة مستنيرة بنور الوحي والإلهام، وفيها وضع الحلول والاستراتيجيات المكافئة، رحمة بالعباد والبلاد.

إن الحديث عن المستقبل القريب ومحاولة استشرافه ومعرفة مآلات الأمور من خلال الواقع، ومن خلال تطلع الأمة له ما يسوغه ؛ لأن أمتنا الإسلامية أمة غير منقطعة، ولكنها موصولة بماض عريق من دعوة الأنبياء - عليهم السلام - ، وموصولة بتاريخها الذي بدأ من البعثة النبوية.

وإذ يقص الله علينا في كتابه الكريم قصص الأنبياء فليس القصد مجرد الحديث عن الماضي للاعتبار به ؛ بل زيادة على أخذ العبرة هو إعلام بما ستراه هذه الأمة بعد عصر الرسالة وفي مستقبل الأيام.

وفي السيرة بعد نزول الوحي، قصَّ رسول الله ﷺ على ورقة بن نوفل ما جرى له في غار حراء، فقال ورقة : " ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك"، فقال رسول الله ﷺ : " أو مخرجي هم؟ " قال : نعم ، ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي"[٢٠]. وكلام ورقة بن نوفل إنما بني على التجربة السابقة من تاريخ الأنبياء .[٢١]

وقد بشَّر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح بلاد كسرى وقيصر،[٢٢] وكان هذا أثناء معركة الخندق،[٢٣] والمسلمون في خوف وزلزلة، ولكنه تداول الأيام وانتصار الحق على الباطل.

وهذا التقدير للعواقب هو ما يتفاضل به أهل العلم والفكر، والحكيم هو الذي يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها، فإنما حمدت العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستشفافهم ما تجيء به العواقب، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم، وأما معرفة الأمور عند تكشفها، فذاك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول والعالمون والجاهلون.

والمسلمون يملكون أشياء مادية تساعدهم على النهوض، يملكون موقعاً جغرافيا وسطاً في العالم، وأراضي واسعة مملوءة بالخيرات وأماكن استراتيجية كالممرات المائية المشهورة.[٢٤]

---

(٢٠) رواه البخاري ح (٣)، ومسلم ح (١٦٠).
(٢١) حديث عن المستقبل، محمد العبدة ص ٦.
(٢٢) رواه البخاري ح (٣٤٠٠) و (٢٨٦٤).
(٢٣) رواه البخاري ح (٣٨٧٥) .
(٢٤) حديث عن المستقبل، محمد العبدة ص ٢١.

حقيقة الاستخلاف

إن الحقيقة التي يجب أن نعيها، ونفهمها حق الفهم، وندرك مراميها ، ونؤمن بها هي: أن الاستخلاف الذي أوجدنا الله في الأرض لأجله لا يكون إلا بالعمل ومواصلة الليل بالنهار لأداء هذه المهمة على الوجه الذي يرضيه عنا، ولا يكون استعمارنا للأرض بمشاهدة الآخرين وهم يعملون وينتجون ، أو بالتشجيع والهتاف فقط، بل في الإصلاح والإسهام بما في القدرة وإن قل، والعمل يحتاج إلى اليقظة والإدراك والحركة، وفي ذلك كله من الأجر والثواب الرباني ما يبتغيه كل ذي لبّ. قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

طرق استشراف المستقبل

المبحث الأول: استشراف المستقبل عن طريق الخرافة

المطلب الأول: تعريف الخرافة

تعريف الخرافة في اللغة: تطلق الخرافة في اللغة ويراد بها: الحديث المستملح من الكذب.(٢٥)

وتطلق ويراد بها: اسم رجل من بني عذرة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بما رآى فكذبوه، فقالوا: حديث خرافة.(٢٦)

وتشير الخرافة بجميع مفرداتها إلى البعد عن الواقع الموضوعي، وعلى هذا فإن البعد عن الحقيقة الموضوعية يعد من الصفات الأساسية التي تميز الخرافة.

وفي الاصطلاح: هي أفكار ومعتقدات وعادات شبه دينية لا تستند إلى دليل موضوعي وتجريبي، منحدرة عن عقيدة دينية سابقة، وتستمر في المجتمع لفترة طويلة.

وفي الفلسفة تعرف الخرافة بأنها

معتقد لا يعتمد على أساس من الواقع ولا من الدين، مثل: الأقوال أو الأفعال، أو الأعداد التي يظن أنها تجلب السعد أو النحس.(٢٧)

---

(٢٥) لسان العرب، ابن منظور ٦٢/٩ ، المعجم الفلسفي ص ٨٠.

(٢٦) لسان العرب، ابن منظور ٦٢/٩ ، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٠٣٨ ، مختار الصحاح، الرازي ١٩٦/١.

(٢٧) المعجم الفلسفي ص ٨٠.

ولو رجعنا إلى المراجع اللغوية لا نجد للخرافة تصريفاً وتحديداً ، بينما الأسطورة نجد لها تصريفاً وتحديداً وذلك لأن القرآن الكريم أورد عبارة ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] فقد ورد في لسان العرب أن الأساطير هي الأباطيل وهي أحاديث لا نظام لها، وجاء في مفردات الأصفهاني هي في ذات المعنى.[٢٨]

المطلب الثاني : ألفاظ ذات صلة

السحر

يطلق السحر في اللغة على : كلّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه ودَقَّ. [٢٩]

وفي الاصطلاح: فن يزعم إحداث آثار مضادة لقوانين الطبيعة بواسطة طقوس وأعمال خاصة، كالإشارات والرقي، وتعول الطقوس السحرية على قدرة السحرة. [٣٠]

وتعرض العلماء –رحمهم الله- لتعريف السحر [٣١]، وعند استقراء ما قالوه في تعريفهم للسحر نجد أنهم لا يخرجون عن :

الاتجاه الأول : أن السحر خارق للعادة ويكتسب بالتعلم والتعليم.

الاتجاه الثاني: أن السحر عبارة عن حيل وتخايل وتمويه وخداع.

وهنا يتضح أن بعض السحر حقيقي وهو الذي تعتريه جميع الأحكام الشرعية الخاصة بالسحر ، وبعضه الآخر غير حقيقي وهو:

الشعوذة: وتعني: السرعة والخِفَّةُ في اليد وأَخْذٌ كالسحر يُري الشيءَ بغير ما عليه أَصله في رأْي العين ورجل.[٣٢] والشعوذة تسمى مجازاً بالسحر وهي خدع وتمويه لا حقيقة لها في الواقع ولا تعود بالضرر إلا على مستخدمها نفسه في بعض الأحيان كالحاوي الذي يستخدم في حيله وخداعه مواد كيمائية وهو جاهل بمؤثراتها واستخدامها العلمي لأنه ربما وقع في خطأ في الاستعمال نتج عنه ضرره ؛ لأن مادة الكيمياء تلعب دوراً كبيراً وخطيراً ومفيداً في نفس الوقت في كثير من أوجه النشاط الإنساني. [٣٣]

---

(٢٨) لسان العرب ٦٢/٩ ، المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٣٢.

(٢٩) لسان العرب ٣٤٨/٤.

(٣٠) المعجم الفلسفي ص ٩٦.

(٣١) انظر: حاشية ابن عابدين ، ٤٤/١- ٤٥ ، الفروق، القرافي ١٣٧/٤ ، مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ١٢٠/٤ ، المغني، ابن قدامة ١٠٤/١٠.

(٣٢) لسان العرب ٤٩٥/٣.

(٣٣) السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي، د. عبدالسلام السكري ص ٣٧- ٣٨.

العرافة: هي الكهانة، وقيده بعضهم بـ: الإخبار عن الأمور المستقبلية. (٣٤)

وقال ابن تيمية: " العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق".(٣٥)

التنجيم: أصله من النظر في النجوم حسب مواقيتها وسيرها.(٣٦) **وهو :** الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية ، والقوابل الأرضية.(٣٧)

الكهانة: تعاطي أخبار الكائنات في المستقبل وادعاء معرفة الأسرار(٣٨).

قال محمد أمين ابن عابدين (١٢٥٢هـ): " الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب، وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم، وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى ، والذي يدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون".(٣٩)

وقيده بعضهم بـ: الإخبار عن الأمور الماضية الخفية بضرب من الظن.(٤٠) وذكر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) أنها على أربعة أنواع:

ما يتلقونه من الجن من السماء، ولم يبق منه إلا الخطف، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ١٠].

ومنه ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره، مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ومنه ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

ومنه ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وكل ذلك مذموم شرعاً.(٤١)

---

(٣٤) التعاريف، المناوي ص٥٠٩.

(٣٥) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٧٣/٣٥.

(٣٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص١٤٩٩.

(٣٧) مجموع الفتاوى ١٩٢/٣٥.

(٣٨) لسان العرب ، ابن منظور ٣٦٢/١٣.

(٣٩) حاشية ابن عابدين ٢٤٢/٤.

(٤٠) التعاريف، المناوي ص٢٠٢.

(٤١) فتح الباري ، ابن حجر ٢١٧/١٠.

المطلب الثالث: أسباب ظهور الخرافة ورواجها

قبل الشروع في الحديث عن المستقبل في الخرافة لا بد من معرفة أسباب ظهور الخرافة، ومن هذه الأسباب:

أولاً: أسباب دينية

ذلك لأن الديانات غير السماوية أساسها خرافات مبتدعة أصبحت ديناً وآمن بها الكثير، وبناءًا على الخرافة الأساسية لبداية الديانة المخترعة تظهر بعدها الكثير من الخرافات.

ثانياً: الجهل والفشل في تفسير الظواهر العلمية

قل ما يظهر شيء غريب في مكان وعند الفشل في تفسيره تبدأ الأساطير والخرافات تحوم حول المسبب للظاهرة؛ لأن فطرة الإنسان بحاجة للفهم والمعرفة، فإذا لم يُعرف السبب الصحيح اخترع السبب الخاطئ وآمن به.

ثالثاً: القصص والحكايات والمبالغات

المؤرخون والقصَّاصون أحد أسباب انتشار الخرافات وظهورها ، والعامل التجاريّ الذي يساعد على انتشار وبقاء الخرافة، من حيث كتب الروايات والأفلام وغيرها.

فالخرافة إذن مبنية على الديانات الأرضية المبتدعة والجهل والفشل في تفسير الظواهر، والقصص والحكايات والأساطير، وما دام الأمر كذلك فكيف تكون نظرة الخرافة إلى المستقبل؟ وماذا ينتظر منها؟ هل تكون نظرة تفاؤل واستشراف ودراسة واستعداد لما يحل ويأتي؟ أم نظرة تشاؤم وتفاجؤ وتوجس مما سيأتي؟

فلذلك نرى أن كلَّ من يثق بالخرافة ويصدقها ينظر إلى المستقبل نظرة تشاؤم، نظرة خوف وتوجس؛ لأن مستند هذه النظرة لم تكن على أساس الإيمان واليقين بأن الأمور كلها بيد الله، وأنه لا يكون في الكون إلا ما يريده الله، ومشيئته سبحانه فوق كل مشيئة، لا رادَّ لقضائه ولا مغيِّر لحكمه؛ بل مستندها الخرافات والاعتقادات الخاطئة التي نشأت عن الجهل والأمية.

والخرافات لما كثرت وانتشرت في كثير من المجتمعات الإسلامية، دخلت كل شؤون الحياة ومجالاتها، وأثرت في الرؤية المستقبلية لهذه الناحية فمن هذه المجالات:

١- الخرافات والاعتقادات الخاطئة المرتبطة بمجال الحياة الاجتماعية، مثاله عدم كنس البيوت بعد المغرب.

٢- الخرافات والاعتقادات الخاطئة المرتبطة بمجال الغيبيات بشقيها الغيب النسبي والغيب المطلق، ومثاله الاعتقاد السائد عند بعض الناس بإمكان الاطلاع على المستقبل من خلال قراءة الكف والفنجان.

٣- الخرافات والاعتقادات الخاطئة المرتبطة بمجال الصحة والمرض، مثاله لبس سلسلة من المعدن تشفي من مرض الروماتيزم والقلائد والتمائم.

٤- الخرافات والاعتقادات الخاطئة المرتبطة بمجال التفاؤل والتشاؤم، مثاله التشاؤم عند رؤية نوع من الطيور أو الحيوانات.

٥- الخرافات والمعتقدات الخاطئة المرتبطة بمجال الخطبة والزواج، مثاله خوف الوالدين من تأخر زواج أبنائهم وبناتهم معتقداً أن سبب تأخر الزواج هو السحر.

٦- الخرافات والمعتقدات الخاطئة المرتبطة بمجال الحمل والولادة، مثاله مزار القبور التي يقال عنها قبور الأولياء وأن ذلك يفيد في علاج العقم عند السيدات.

فالخرافة انتشرت ودخلت كل مجالات حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والنفسية، وأثرت في سلوكه وتعامله مع الآخرين، وبالتالي هي ستؤثر عليه في رؤيته للمستقبل، وخططه المستقبلية، وصار حاله كمن يبني قلاعاً من الرمال على شاطئ البحر.

المطلب الرابع: مصادر الخرافة

عن عياض بن حمار المجاشعي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتَالَتهُم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"[٤٢].

لقد كانت بداية نشأة الخرافة مع بداية دخول الشرك إلى البشرية، حيث إن الناس من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى نوح عليه السلام كانوا على دين واحد وهو الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[يونس: ١٩]، ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأوثان والأصنام من دون الله، فبعث الرسل مبشرين ومنذرين.[٤٣] واكب دخول الشرك وعبادة الأصنام على البشرية وجود الخرافات والاعتقادات الخاطئة؛ بل هي كانت مقدمة للشرك وعبادة الأصنام.

وما نتجت الخرافات والاعتقادات الخاطئة إلا من بعد الناس عن الدين الصحيح، وجهلهم بالسنن الكونية، وأثر ذلك على تسلط دوافع وانفعالات وأحاسيس متغيرة ومتقلبة عليهم، فتوجههم حسب ما تمليه الخرافة والعقيدة الخاطئة يعتقدونها ويؤمنون بها. وجعلهم يعانون من حالة عدم التوازن التي تنتاب النفس البشرية عندما تعايش مواقف نفسية لا تجد لها تفسيرًا.

ومع تغيّر الحياة البشرية وظهور الحضارات ظهرت الكثير من الخرافات والاعتقادات في العديد من جوانب الحياة الإنسانية؛ الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والنفسية، الخاصة منها والعامة، فظهرت الخرافات والاعتقادات الغيبية كالأرواح الشريرة، والأشباح، والغول، وقراءة الطالع والأبراج، وقراءة الفنجان والكف، وكذلك الخرافات

---

(٤٢) رواه مسلم ح (٢٨٦٥)، وأحمد ح (١٧٥١٩) ٤/١٦٢.

(٤٣) تفسير الطبري ٢/٣٤٧.

المتعلقة بصحة الإنسان ومرضه، فربطت هذه الخرافة بين صحة الإنسان وتأثير بعض القوى الوهمية لأشياء عدة، كتأثير الأحجار الكريمة، وقرون الخراف والغزال، والخرز الأزرق والتمائم.. الخ. فكانت كل هذه الأشياء تبعده عن الحسد والمرض والعين والموت أيضًا، وتوفر له الحماية من كل سوء. ولكن بتتبع الخرافة وأنواعها ونشأتها يلاحظ أن لكل خرافة نشأة خاصة أو تكوين خاص، يرجع لأسباب محددة وفقًا للتفسير الذي وضعه الناس لها.

وتنقسم مصادر الناس لمعرفة المستقبل بحسب الحق والباطل الذي فيها إلى:

١- المصدر الأول: مصادر باطلة قطعاً، وكل ما توصل إليه عن طريقها فهو باطل. ومن ذلك ما تمارسه كثير من الأمم في القديم والحديث من السحر لمعرفة الغيب والمستقبل، أو ادعاء ذلك عن طريق شعوذة الكهان والتنجيم والسحر، أو عن طريق خط الرمل، وسر الحروف.

٢- المصدر الثاني: مصادر ظنية: وهي المصادر التي لا تكون يقينية ولا باطلة، ولكن تكون ظنية.

والمصادر الظنية لمعرفة ما سيقع بإذن الله تعالى على ثلاثة أنواع:

أ) النوع الأول: الرؤى والمنامات الحقة، ولا نعني بها أضغاث الأحلام. فهذه الرؤى الصادقة مبشرات كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم(٤٤)، ولا يستطيع أحد أن ينجم بتأويلها إلا إذا كان بوحي.

ب) النوع الثاني: أخبار أهل الكتاب، مما لم يأت في ديننا ما يدل على بطلانه.

ج) النوع الثالث: الدراسة العلمية التي يمكن أن نسميها "الاستنباط العقلي" أو الاجتهاد بالنظر في سنن الله الكونية.

٣- المصدر الثالث: من المصادر هو المصدر الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وسيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني إن شاء الله.

فالخرافة كما سبق مبنية على مصادر باطلة قطعاً، تعتمد في رسم المستقبل والتخطيط له طرق السحر ويعتمد في ذلك على الكهان والمنجمين والسحرة عن طريق الشعوذة، وخط الرمل، وسر الحروف كما يزعمون.

ثم إن التفكير الخرافي يختلف عن التفكير العلمي أو الموضوعي، ذلك أنه لا يقوم على أساس إدراك علاقة العلة والسبب العلمي، فالتفكير الخرافي يرجع الظواهر الطبيعية أو أي حادثة تحصل إلى أسباب غير طبيعية.

---

(٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة" قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. سنن الترمذي، ح (٢٢٧٢)، مسند الإمام أحمد ٢٦٧/٣. وصححه الألباني في الجامع الصغير ٢٥٢/١.

المطلب الخامس: مظاهر تسويق الخرافة في هذا العصر

إن أصحاب الخرافات والمشعوذين يخلطون بين الدين والخرافة تسويقاً لبضائعهم، حيث يظهرون في مظاهر العلماء والمشايخ والفقهاء وكلما ظهر المشعوذ بأنه كبير في السن كان أقدر على الإقناع، فهو يتشبه بالعالم، بوقاره وهيبته، ولا نكاد نجد حجاباً، أو سحراً يخلو من الآيات القرآنية، وذلك تمسحًا بالدين واستغلاله لأغراض دنيئة هدفها النصب والاحتيال.

واليوم قد ظهرت أشكال الكهانة في ثوبها الجديد من خلال غزو القنوات الفضائية، وهي تتمثل في الآتي:

١- في بعض القنوات الفضائية خصصت برامج تحت مسميات مختلفة، من ذلك ما يسمى بعلم الحجارة الكريمة، حيث يُحدد لكل متصل نوع من هذه الحجارة، ومن خلالها يمكن استشراف مستقبله منه، كما يقع في قناة (MBC).

٢- هناك قنوات متخصصة في الكهانة والسحر والشعوذة، خصَّصت جُلَّ وقتها لبثِّ مثل هذه الأفكار، وجذب المشاهدين لها ، مثل: قنوات جرس، وكنوز، وشهرزاد.

٣- بعض هذه القنوات قد لا يظهر فيها السحر والشعوذة بالشكل الواضح؛ لكنهم يمررون أفكارهم بأشكال وقوالب شرعية، وهي بعيدة كل البعد عن ذلك.

٤- بعض هذه القنوات يظهر على قنواتها من يكتب الحروز والتعاويذ على لوحة في القناة، ويأمر المشاهدين بكتابتها، وأغلب هذه التعاويذ والحروز طلاسم أقرب ما تكون لطلاسم السحرة والمشعوذين.

٥- وكذلك ظهرت بعض المواقع على الشبكات العنكبوتية، تمارس الشعوذة والكهانة عن طريق قراءة الكف، أو النظر في المرآة، أو ما يعرف بالبلور.

٦- وهناك شكل من أشكال الشعوذة وقراءة المستقبل، تسمى الدنبوشي، وكثيرًا ما تستعمل كسحر تأثير في الأوساط الرياضية؛ للتأثير على نتيجة المباراة؛ أو لمعرفة الفائز في المباريات القادمة.

٧- الاتصال الهاتفي على الناس من دول أخرى، حيث يضرب هذا المشعوذ أو الدجال بأرقام عشوائية، ثم يخبر المتصل عليه بأن لديه علاجاً لمشاكله الصحية والنفسية والاجتماعية، وأن ما به من مرض أو غير ذلك فبسبب سحر عُقد له، وأكثر ما تأتي هذه الاتصالات من أفريقيا.

وهذه المظاهر المنتشرة اليوم تستهدف كل شرائح المجتمع، وأسباب ظهور مثل هذه الخرافات في ثوبها الجديد وانتشارها بهذا الشكل المروِّع ما يلي:

١- انتشار الأمراض العضوية والنفسية بين الناس وما يصاحب ذلك من ضعف والتماس الشفاء بأي طريق.

٢- كثرة المشكلات الأسرية والزوجية والعائلية والمالية.

٣- الجبلة التي طبع عليها الناس في الرغبة باستشراف المستقبل.

٤- كثرة الأوهام والوساوس والأمراض النفسية، وإهمال الأوراد الشرعية صباحاً ومساءً.

٥- الجهل بالأحكام الشرعية التي تحرم مثل هذه الأمور، وتسد الطرق الموصلة إليها.

٦- ضعف اليقين والتوكل على الله.

٧- تعلق الناس بالكسب المادي - وهذا يكون من جهة المشعوذ والساحر ومقدم الخدمة في أي وسيلة من وسائل النشر.

٨- ضعف الأخذ بالوسائل الشرعية التي تمنع وتردع مثل هذه التصرفات.

٩- سرعة الوصول إلى السحرة والمشعوذين لانتشار وسائل الاتصال المتنوعة.

١٠- انتشار مراكز التدريب ومعاهد تعليم الناس السحر والكهانة ونحوها في بعض الدول الإسلامية، وانتشاره أيضا عبر شبكة الإنترنت.

١١- مشاهدة الشباب والأطفال الأفلام الكرتونية، وألعاب الـ(بلاي ستيشن)، والتي كثيرًا ما يمارس فيها هذه الأنواع والأشكال من الشعوذة والكهانة، مما تجعل المتلقي يستمرئ مثل هذه الأمور، وتكون مقبولة لديه، حتى لو كانت في بدايتها حركات بهلوانية أو خدعاً سينمائية أو مؤثرات كيمائية وضوئية، ومن ثم يكون هناك تقبل لهذه الأمور ثم يدخل ضمنها السحر الحقيقي لوجود الأرضية القابلة لنمو هذه البذور الخطيرة.

المطلب السادس: وسائل مدافعة الخرافة والقضاء عليها

إن الوسائل الحقيقية لمدافعة الخرافة والقضاء عليها، والحد من تأثيراتها السلبية يكمن فيما يلي:

تحديداً في نشر التعليم الشرعي، والقضاء على الجهل بكل أشكاله، وبيان خطورة هذه الأعمال على عقيدة المسلم، والوعيد المترتب على إتيان السحرة والكهان، والدفاع عن العقلية العلمية في التعليم، وتنقية الإعلام من الخرافة، وفتح الحوار في المجتمع حول القضايا التي تمس مصالحهم وتدور حولها آراء متناقضة، وإظهار الدجالين على حقيقتهم، وهزّ ثقة المشاهدين بهؤلاء الدجالين والسحرة. من خلال كشف زورهم ودحض شبهاتهم وبيان تناقضاتهم بالمناظرات والمناقشات المعلنة، وتوعية الناس بأن علم الغيب مما اختص الله بعلمه وحده دون خلقه، وإبراز هذا الجانب، ومكاتبة ملاّك هذه القنوات والقائمين عليها، وتوجيههم ونصحهم، لإيقاف مثل هذه البرامج الخطيرة. هذه بعض الوسائل والطرق لمواجهة مثل هذه المظاهر الخطيرة التي انتشرت في البلاد وبين العباد.

أيضاً: حث المسلمين وتجّارهم خاصةً على إنشاء قنوات فضائية تختص بهذا الجانب المهم في حياة الناس، وكذلك تقديم دراسات مؤصلة وموثقة إلى الجهات التعليمية لتضمَّن المناهجَ الدراسية، ويؤسس العلم الشرعي في

هذه الجوانب ليعلم ناشئة المسلمين المخاطر المحدقة بهم، وكذلك التواصل مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف لتناول ذلك في الخطب والمحاضرات والدروس، بشكل دائم لتعاهد إيمان المسلمين وتقوية يقينهم بالله.

أيضاً: حثّ الباحثين في الجامعات على إقامة مؤتمرات وندوات تعنى بطرق هذه المسائل وتقريب فهمها للناس، وتعميم نتائجها على العالم الإسلامي، حيث إن عدداً من بلاد المسلمين تفتقر إلى تقوية الوعي الشرعي بهذه الأمور الشائكة.

أيضاً: تزويد الجهات الأمنية وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنتائج ونماذج ونسخ من المؤلفات بهذا الشأن؛ لتكون في متناول العاملين في تلك القطاعات؛ لتسهيل المعرفة بدسائس ومكائد المنحرفين، ولتكون ضمن مكتبات ومكاتب المسؤولين والأقسام العلمية والتوعوية والإرشادية في تلك القطاعات الهامة.

أيضاً: جمع مادة علمية مختصرة لتكون بيد ولي الأمر لمزيد التناصح والتعارف، ولعله يسنّ من الأنظمة ما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد.

أيضاً: إقامة دورات للطلاب المختصين في الجامعات وفي مادة العقيدة لإلقاء مناقشات ومناظرات علمية تدربهم على مناقشة ومناظرة المنحرفين عبر القنوات الفضائية التي تعرض على الهواء، وتزويدهم بآليات وطرق المناقشة والحوار الهادئ الهادف المؤصَّل تأصيلاً علمياً شرعياً.

المبحث الثاني: النوافذ الشرعية للمستقبل

المطلب الأول: التفاؤل وحسن الظن بالله ثم الثقة بالنفس

رسَّخ الرسول ﷺ رسخت ثقافة الاستشراف للمستقبل، فمن قمة الضعف والجوع والبرد والنصب، وأجواء يصعب معها التفكير في المستقبل، لا يعلن بل يقسم الرسول ﷺ عند ضربه في غزوة الخندق لصخرة لم تأخذ منها المعاول لصلابتها، على رؤيته للقصور الحمر في الشام، وقصر المدائن الأبيض في فارس، و أبواب صنعاء في اليمن.(٤٥)

بل إن النبي ﷺ قد تجاوز مرحلة الاستشراف وقراءة المستقبل إلى صناعته مع سراقة بن مالك حين بشره بسواري كسرى،(٤٦) فيدفعه دفعاً للعمل والمثابرة وبلوغ الهدف الذي رسمه له.

وما يعتمد هذه الثقافة ويفعلها إلا صاحب نفس متزنة متأنية لا تعجلها ضغوط الحاضر، وتدفعها الأعمال غير المحسوبة، "والله ليتمنَّ اللهُ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، و لكنكم تستعجلون"(٤٧).

---

(٤٥) انظر: مسند الإمام أحمد ٤/٣٠٣.

(٤٦) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٦/٣٥٧.

(٤٧) رواه البخاري، ح (٣٤١٦).

إن ضعف الثقة بالله تعالى، ونقص التوكل عليه سبحانه، والإغراق في التفكير بالخوف من المستقبل وما سيكون عليه بتحليلات سلبية ونظرات سوداوية، وقصور المفاهيم حول الهدف من خلق الله للخلق، تُصادم التفاؤل، وتعارض حسن الظن بالله، وتزيد من المشكلة، وتبعد من الحل.

والنبي ﷺ يقول: " لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين"(٤٨).

كما أن من الوعي أن لا تغلو الأمة بعقود أو عهود أو اتفاقات أو منظمات تقضي على طموحات أجيال المستقبل حين تكون مكرسة قيود الذل والهوان أو التبعية والانطواء تحت سقف الأمم الكبرى، وهنا يأتي دور الوعي العلمي الحر من الانخراط في أنفاق مظلمة تعيق مساحات الضوء الذي يتطلع إليه جمهور الأمة فيما لا يخالف القواعد الشرعية ، والمصالح المرعيّة.

المطلب الثاني: فعل الأسباب

يقول الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى (٧٤٨هـ): " ليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات"(٤٩).

لقد ربط الله - عز وجل- الأسباب بمسبَّباتها شرعاً وقدراً، قال ابن القيم: "وقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها؛ بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسبَّبات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جارٍ عليها متصرف فيها، فالأسباب محل الشرع والقدر"(٥٠).

وذكر الله –عز وجل- ذلك في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ ذلك لأن الله جعل نظام هذا العالم مؤسساً على استفادة المسبَّبات من أسبابها والنتائج من مقدماتها(٥١).

وأقام الكون ونظام الحياة على الأخذ بالأسباب والسعي فيما أمر به، وكل ذلك ينتفي إذا أطلعنا على الغيب الذي استأثر به؛ لأننا سنتكل عليه ولن نسعى إلا فيما كتب لنا السعي فيه، ومن ثم يرفع التكليف وتنتفي سنة الابتلاء والجزاء. (٥٢)

---

(٤٨) رواه البخاري، ح (٦٤٤٣).

(٤٩) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٨/٧٠.

(٥٠) شفاء العليل، ابن القيم ص٣٨٠.

(٥١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤/١٧٩.

(٥٢) السنن الإلهية في الأمم والأفراد، مجدي عاشور ص ١٤٤.

وفي الأمور المكفولة حث الشرع على طلب الأسباب، والشارع وإن تكفل برزق كل دابة إلا أنه أيضا حث على فعل الأسباب لتحصيله، والكائنات الحية تشارك الإنسان في السعي إلى رزقها والعمل من أجل تحصيل ما يَقوم به حياتها ومعيشتها، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصاً وتروح بِطَاناً" (٥٣).

"فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل، وهو المسخِّر المسيِّر المسبِّب" (٥٤).

المطلب الثالث: السنن الإلهية في الأمم والأفراد

إن سنن الله تعالى جانب من جوانب الموضوعات القرآنية التي أنزلها الله في آيات هذا الكتاب المبين، وهي تصور منهج القرآن في فهم الحياة، كما تصور حكمته في نعوت الكمال لله تعالى خالق الحياة.

ثم إن العلم بالسنن الإلهية هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد للأمة، فطاف آفاق السماوات والأرض نظاراً باحثاً يستشف الحقائق الكونية من وراء السجف، يكشفها له القرآن ويهديه لأصولها.

فالقرآن يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض، يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها ، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على شعار الإسلام دون حقيقته لينالوا النصر والتمكين(٥٥).

والسنن الإلهية في الأمم والأفراد تشمل جوانب حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وتبصر المرء أين يضع قدمه؟ وكيف يفيد من تلك السنن في جلب السعادة في دنياه والفوز برضا الله في أخراه، وكذا في عمران الأرض وإقامة الدول وتحصيل أسباب الاستمرار والحياة بالنسبة للأمم، وغير ذلك من المعاني الكثيرة التي تتضمنها وتكفلها كل سنة، وبالمقابل فهي تحذر من السير في الركب المعاكس لما أراده الله وارتضاه من تلك السنن.

---

(٥٣) السنن الإلهية في الأمم والأفراد، مجدي عاشور ص ١٤٧، والحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده، ح (٢٠٥) ١/٣٠، والترمذي في السنن، ح (٢٣٤٤)، وابن ماجه، ح (٤١٦٤)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ح (٣١٠) ١/٦٢٠.

(٥٤) تفسير ابن كثير ٤/٣٩٨.

(٥٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٤٧٨.

وهذه السنن التي تختص بالأمم والأفراد، هي أشبه ما تكون بالسنن الاجتماعية، غير أن بعضها قد يتسع ويشمل النظام الكوني للبشر وغيرهم من المخلوقات الكائنة في الحياة الدنيا، وهي :

سنة الله في الأسباب والمسببات: وقد تقدم الحديث عن ذلك تحت عنوان: (فعل الأسباب لا ينافي التوكل)[٥٦]، ونستطيع أن نقرر هنا أن سنة الله في الأسباب تقوم عليها السنن الأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وإن إفرادها بالذكر وبأسماء خاصة بها إنما هو لإبرازها ولفت النظر إليها لمعنى خاص بها، وتبقى مع ذلك قائمة على سنة الله في الأسباب.

وسنة الله في الجزاء بجنس العمل، وفي الابتلاء والنصر والتمكين، وفي هلاك الأمم، وفي الهداية والضلال، وفي الاختلاف والمختلفين، وفي التمييز و التفاضل بين البشر، وفي التنازع بين الحق والباطل، وفي التدافع، وفي التوازن، وفي الرزق، وفي النعم وتغييرها، وفي تزكية النفس، وفي المعاملة بنقيض المقصود، وفي العقاب الدنيوي، وفي تداول الأيام، وفي التيسير، وفي الإنذار والإعذار، وفي الإمهال، وفي التزيين والاستدراج، وفي الذنوب والسيئات، وفي التدرج، وفي الاستبدال، وفي قيام الدول وسقوطها، وسنة الله في الأجل. [٥٧]

المطلب الرابع: حسن التخطيط

المستقبل مرتبط بالتخطيط والبناء والإصلاح والتجديد، وهو الذي يوسع فسحة الأمل، ويحرض على العمل، والمستقبل يعني عدم الإذعان للواقع المر فالعالم يعيش تحولات متسارعة فلا بد من المتابعة واستيعاب الحاضر، والنظرة المستقبلية ليست بضاعة غربية (علم المستقبليات) فالقرآن الكريم عندما يذكر تداول الأيام فإنما يبذر في نفس المسلم إحساساً عميقاً من اليقظة التاريخية المستقبلية [٥٨].

التخطيط أو الإعداد لا ينافي التوكل

إن المحذور في قضية الخوف من المستقبل هو الخوف بسبب سوء الظن بالله، وعدم التوكل عليه ، وقد بين النبي ﷺ أن المؤمن صحيح الإيمان، هو الذي لا يخشى المستقبل ولا يبالغ في إشغال نفسه به أو حمل همه، ثقة بالله تعالى وتوكلاً عليه. أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله: أي الصدقة أعظم؟ فقال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى" [٥٩].

---

(٥٦) انظر ص ٣٤.

(٥٧) انظر: السنن الإلهية في الأمم والأفراد، مجدي عاشور ص ١٣٥- ١٣٦.

(٥٨) حديث عن المستقبل، العبدة ص ٥.

(٥٩) رواه مسلم، ح (١٠٣٢)، وأحمد في مسنده، ح (٧٤٠١) ٢/٢٥٠.

ومع تسليمنا المطلق أن المستقبل بيد الله تعالى وحده، إلا أن عدم الخوف منه ، لا يعني عدم الإعداد له، ووضع خطة مستقبلية للتعايش معه، فهذا لا ينافي التوكل عليه سبحانه، وإنما هو من بذل الأسباب، فنحن كما أننا نحرص في أمور حياتنا كلها على حسن اختيار ما يهمنا وله علاقة بمستقبلنا فإنه ينبغي أيضا أن نحرص على حسن الإعداد للمستقبل المادي وتدبيره والتخطيط له واختيار الأنسب والأفضل لنوع الدخل وقيمته [٦٠].

وكما صحَّ عن عمر - رضي الله عنه- أنه قال: إن الله قد خصَّ رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: (وما أفاء الله على رسوله منهم) إلى قوله: (قدير) فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ، ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، فقد أعطاكموه وبثَّها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته" [٦١].

قال ابن حجـر: "وفيه جواز الادخار خلافا لقول من أنكره من مشددي المتزهدين، وأن ذلك لا ينافي التوكل"[٦٢].

ولذلك نجد حسن التخطيط للمستقبل في قصة نبي الله يوسف – عليه السلام – وكيف أوَّل رؤيا الملك، وأجاد في تصوير التخطيط السليم لمواجهة مشكلة المجاعة القادمة والتي تهدد الأرواح والأموال.

إذن فالأنبياء والرسل - عليهم السلام- كانوا رحمة للناس جميعاً، سواء في تصحيح العقيدة وتقويم الأخلاق وتصحيح السلوك، أو في الحياة المعيشية والاقتصادية، وقد استفيد من يوسف سلامة الخطة ونجاح سياسة التخطيط.

إن التطلع للمستقبل ليس هروبا من الحاضر، ولا قفزاً على السنن الربانية، ولكنه الأمل الذي يدفع إلى العمل.

المطلب الخامس: قراءة البوادر والمقدمات (الفراسة ، والإلهام)

الفراسة: هي الاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله، وربما يقال: نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيرها ، وقد نبه

---

(٦٠) لماذا الخوف من المستقبل، عبدالعزيز الحسيني ص ٣٥- ٣٨.

(٦١) رواه البخاري، ح (٢٩٢٧).

(٦٢) فتح الباري ٦/٢٤٠.

الله تعالى على صدقها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]، وقوله: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وبقوله: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠]. (٦٣)

والضرب الثاني من الفراسة: يكون بصناعة متعلمة، وهي معرفة ما بين الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك وكان ذا فهم ثاقب، قوي في الفراسة، وقد ألف في ذلك كتب، فمن تتبع الصحيح منها اطلع منها على صدق ما ضمنوه. والفراسة ضرب من الظن، والظن بتقلب القلب، والفراسة بنور الرب تعالى، وكل من قوي فيه نور الروح المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩]، كان ممن وصف بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: ١٧]، وكان ذلك النور شاهداً منه أصاب فيما حكم به. (٦٤)

ومن الفراسة: علم الرؤيا، وقد عظم الله أمرها في جميع الكتب المنزلة وسيأتي الكلام عليها في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

قال ابن القيم: " والتحقيق: أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيراً، وخاصه قد يقع نادراً، ولكن الفرق الصحيح: أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة ". (٦٥)

والإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض، ويختص بما من جهة الله والملأ الأعلى ، ويقال: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص به الله من يشاء من عباده. (٦٦)

وفي لسان العرب: الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده. (٦٧)

وفي التعريفات: الإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة، والفرق بينه وبين الإعلام: أن الإلهام أخص من الإعلام، لأنه قد يكون بطريق الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه. (٦٨)

---

(٦٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ١٨٦- ١٨٨ ، الروح ؛ ابن القيم ص ٤٠، ٢٤٠.

(٦٤) انظر: المرجع السابق.

(٦٥) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٤٥.

(٦٦) تاج العروس، الزبيدي مادة (لهم).

(٦٧) لسان العرب، ١٢/ ٥٤٧.

(٦٨) التعريفات، الجرجاني ص ٥٧.

قال أبو السعادات مبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ): الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده".[٦٩]

وهذه التعريفات كلها تدور حول معنى أساسي، وهو أن الإلهام إلقاء معنى أو فكرة أو خبر أو حقيقة، في النفس أو القلب أو الروع بطريق الفيض، بمعنى أن يخلق الله فيه علماً ضرورياً لا يملك دفعه. أي ليس بطريق التعليم والاكتساب المعهود؛ بل هو يفاض على النفس فيضاً، بغير اختيارها ولا إرادتها، سواء سعت إليه سعياً عن طريق الرياضة الروحية وتفريغ القلب من كل شيء، أم أفيض ذلك عليها كرامة من الله لها، وخرقاً للعوائد من أجلها، وإن لم تتعمد السعي إليه.[٧٠]

والتعريفات التي ذكرت أن الإلهام نوع من الوحي يقصد بها: أنها نوع من الوحي بمعناه اللغوي، وهو الإعلام بخفاء وسرعة، أو أنه نوع من الوحي بالنسبة للأنبياء، فهو أحد طرق الوحي المتضمنة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وهذا الإلهام أو الكشف هو ضرب من المعرفة الروحية المباشرة، التي عرفتها بعض المدارس الفلسفية قديماً وحديثاً، وهي المعرفة عن طريق الحدس أو البصيرة، وفي الفلسفة القديمة عرفت بذلك الغنوصية.[٧١]

العلاقة بين الإلهام والتحديث: يقول ابن القيم: "التحديث أخصُّ من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: " إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر"(٧٢) ، فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، فهذا كله وحي إلهام".[٧٣]

---

(٦٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٨٢/٤.

(٧٠) موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى، القرضاوي ص ١٧.

(٧١) المرجع السابق.

(٧٢) رواه ابن حبان في صحيحه، ح (٦٨٩٤).

(٧٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٤٤/١- ٤٥.

المطلب السادس: الرؤيا الصالحة

إن الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ولكن غلب الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر.[٧٤]

خصوصيات الرؤيا في الإسلام: كانت الرؤيا من مبشرات النبوة ومن مقدماتها، ولأهمية الرؤيا في الإسلام، كان النبي ﷺ يسأل أصحابه الكرام في صلاة الصبح: من منكم رأى رؤيا؟ ويقوم بتعبيرها له، بل إنه ﷺ قد استخدم توافق رؤى الصحابة دليلاً من أدلة إيجاب عمل ما، فحينما اشترك اثنان من الصحابة في رؤية الأذان أقره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بصيغته، وحينما توافقت رؤى الصحابة على أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، أقر بذلك وطلبها فيه، وهذا يعني أن الرؤيا ، مع أنها جزء من النبوة، إلا أن النبي - على الرغم من وجود الوحي- قد عمل بها في تقدير بعض الأمور، وهذا معناه إعطاؤها قيمة في هذا المجال وإشارة إلى أهميتها، تتجاوز أضغاث الأحلام إلى المعنى الغائي الذي يكمن وراءها.

ولذلك نجد النصوص النبوية التي تؤكد على أهميتها وتشير إلى قيمتها كما في حديث:

أبي قتادة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات ويتعوذ من شرها فإنها لا تضره "[٧٥]. وقال أبو سلمة: "وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من الجبل فما هو إلا أن سمعت هذا الحديث فما أباليها"[٧٦].

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: " أيها الناس: إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ".[٧٧]

عن عوف بن مالك - رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: " الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".[٧٨]

---

(٧٤) لسان العرب ١٢/١٤٥.

(٧٥) رواه البخاري ح (٥٤١٥)، ومسلم ح (٢٢٦١).

(٧٦) رواه البخاري ح (٥٤١٥)، ومسلم ح (٢٢٦١).

(٧٧) رواه مسلم ح (٤٧٩)، وأبو داود ح (٨٧٦).

(٧٨) رواه ابن ماجه ح (٣٩٠٧).

حفيفة الرؤيا: قال ابن حجر: " وكل الله بالرؤيا ملكاً اطلع على أحوال ابن آدم من اللوح المحفوظ، فينسخ منها ويضرب لكل من قصته مثلاً ، فإذا نام مثل تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة، والأولى قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما، فهو يكيده بكل وجه، ويريد إفساد أموره بكل طريق، فيلبس عليه رؤياه، إما بتغليطه فيها، وإما بغفلته عنها"(٧٩).

الفرق بين الرؤيا والحلم: إن الرؤيا ليست بأخلاط وإنما هي محفوظة لا اختلاط فيها ولا إشكال ويمكن تعبيرها وتأويلها. بخلاف الحلم فإنه أخلاط ورؤيا كاذبة لا حقيقة لها أي لا تأويل لها وهي غالباً تكون من تلاعب الشيطان بالإنسان فللشيطان مكايد يحزن بها بني آدم وصدق ربنا حين قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠] فالشاهد من هذه الآية أن الشيطان يحزن الإنسان أحياناً فيريه في منامه ما يكره(٨٠). ولذلك جاء في حديث أبي قتادة المتقدم قوله صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"(٨١).

هل يترتب على الرؤيا حكم شرعي: رؤيا غير الأنبياء ليست من مصادر التشريع، ولا يتجدد معها حكم شرعي البتة؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق.

وقال ابن القيم: " ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشياطين، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه عليهما السلام بالرؤيا. وأما رؤيا غيرهم ؛ فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها ". (٨٢)

فالرؤيا إذا لم تخالف الشرع فهي معتبرة، وكثيراً ما تكون من هذا النوع فتبشر المؤمن أو تحذره.

الأحلام والتنبؤ بالمستقبل: يتساءل العلماء الباحثون في مجال الصدفة أنه حينما يحلم الإنسان أن قريباً له قد مات - وهي أحلام كثيرة الوقوع - ويتأكد من صدق الخبر بعد يقظته، فإننا أمام احتمالين لا يمكن تجاوزهما، في تفسير هذا الحلم التنبئي: هل حدث صدفة، أم أن هناك قدرة حقيقية خارقة للأحلام تخبرنا عن المستقبل قبل وقوعه؟

---

(٧٩) فتح الباري ١٢/ ٣٥٤.

(٨٠) ضوابط تعبير الرؤيا، عبدالله الطيار ص ١٤.

(٨١) رواه البخاري ح (٥٤١٥)، ومسلم ح (٢٢٦١).

(٨٢) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٥١.

ومما جاء في دراساتهم: "إن احتمال موت الإنسان في أي يوم من أيام حياته، هو احتمال ضعيف جداً يقارب معدل ١/١٩٠٠٠ على اعتبار أن متوسط عمر الإنسان نحو خمسين سنة، أي ١٩٠٠٠ يوم. فإذا حلم إنسان بموت أحد معارفه ١٩٠٠٠ مرة، ثم صدق حلمه مرة واحدة، كان ذلك من قبيل الصدفة المحضة بحسب قانون الاحتمالات. هذا ولقد ثبت من التحريات التي أجرتها جمعية المباحث النفسية أن الأحلام تصدق بنسبة ١/٤٧، أي أن كل ٤٧ حلماً يراه النائم يصدق منها حلم واحد، فيتضح من ذلك أن قدرة الحلم على التنبؤ، أعلى جداً من قدرة الصدفة ، فمن أين جاءت هذه القدرة الإضافية؟".[٨٣] وفي النص النبوي يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".[٨٤]

ويؤكد علماء النفس أنه إذا كانت بعض الأحلام تنبئ بالمستقبل بناء على النية. فثمة أحلام أخرى تنبئ بالغد من قبيل الحدس، فهي أحلام استباقية أو تنبئية، وعلى الرغم من النظريات الفسيولوجية في تفسير الأحلام مادياً ، إلا أن العلماء يسلمون اليوم بحصول معرفة المستقبل عن طريق الأحلام. ومما يلاحظه العلماء أن الأحلام التي تفوتنا تفاصيلها وجزئياتها، تغلب عليها النزوة والجموح ، فلا فائدة نستمدها منها في معاشنا. وأما التنبؤات فتكون شديدة الوضوح، لا يفوتنا من أمرها ومعالمها شيء، حتى إن من حلم بها إذا استيقظ من نومه، يظل بعض الوقت تحت تأثيرها، فكأنها تمتد في اليقظة لفرط إيحائها وتأثيرها على حالها.[٨٥]

المطلب السابع: الاستفادة من تجارب الماضي والانطلاق من الواقع إلى المستقبل

يعتبر البعض أن الاشتغال في المستقبل غير نافع ولا مجد، ويظن آخرون أن الطرق التقليدية في استشراف المستقبل هي أنفع من إضاعة الوقت في استحداث بدائل تنفع الحاضر، وتضيء دروب أجيال المستقبل، والصحيح أن المستقبل هو جزء من الماضي والحاضر، هو نتاج الأعمال التي أداها السابقون ، وسار عليها الحاضرون اليوم، فالذين ساروا على ركب الرجال الأشداء أصحاب الدراية، والفهم الشامل الواسع وأسهموا بإضافاتهم البارعة ما أوصلهم لمراتب أرقى وأجلى في التأثير والعطاء، وبنوا فوق بناء الأوائل، كان لا بد أن يحصدوا مستقبلاً باهراً بإذن الله تعالى، وأما الذين كانوا غافلين ونائمين، وعلى نهج الراقدين ساروا فماذا يكون مستقبلهم؟![٨٦]

---

(٨٣) الرؤى والأحلام، سامي الموصلي ص ٣٩.

(٨٤) رواه البخاري ح (٦٥٨٦)، ومسلم ح (٢٢٦٣).

(٨٥) الرؤى والأحلام، سامي الموصلي ص ٤٠- ٤١.

(٨٦) صناعة المستقبل، خليل صقر ص ٤١.

وبصفة عامة فإن الفكر السائد اليوم في واقع المسلمين يفتقر إلى الحس المستقبلي على معنى أنه لا يجعل مساحة الزمن المستقبلية جزءاً أساسياً وضرورياً في تقدير الأحكام وتخطيط المشاريع ؛ بل هو كثيراً ما يهملها مقتصراً على مساحة الحاضر أو الماضي، ولك في ذلك دليل من أن فكرة الدراسات المستقبلية والمراكز التي تخصص لها هي فكرة غريبة على الساحة الإسلامية، وليس ما نسمع اليوم من ذكر لها في بعض البلاد إلا محاولات بدائية لا تتجاوز الهواية الاستطلاعية إلى العمل الجاد.

ليس المستقبل عالم الأحلام البعيد، بل هو مستقبل الحاضر وتطوره، وإن المسلم الذي يثق بوعد الله سبحانه ، ويملك القيم الثابتة والتفاؤل الكبير يتهيأ ليكون صاحب شأن وتأثير في معارك الحياة، فلا ينبغي له أن يكون خارج المتغيرات والتحولات العالمية، بل يرقبها مراقبة الذي يعرف ما يدور حوله وما يجري من أحداث كبار، وإن الغرب وأمريكا تحديدا تريد فرض هيمنتها ، وأن تجعل العالم الإسلامي مستهلكا ثقافيا واقتصاديا. ومفهوم الغرب للاقتصاد والسوق والمؤسسات الكبرى التي أقامها (البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية ..) لا يمكن إلا تحويل العالم إلى ساحة من الذئاب، وهذا الغرب هو الذي وضع أبغض صورة عن الإسلام والمسلمين... وظاهرة الخوف من الإسلام تتصدر عشرات الكتب الصادرة حديثاً، إنها مؤشر على فقدان المجتمع الغربي ثقته بنفسه وإحساسه العميق بضعف ثقافته(٨٧).

إن القوارب التي غادرت شواطئ اليمن باتجاه الشرق للتجارة، لم يكن أهلها يعلمون أنهم يصنعون تاريخاً، وسيكون مائتا مليون مسلم في أندونيسيا من آثار هذه الرحلة المباركة. (٨٨)

إن نجاح الدراسات النفسية والاجتماعية يقوم على تكرار التجارب وعلى الإحصاء الدقيق الذين يسمحان باستنتاج قانون نفسي أو اجتماعي ما ، يصبح بعد ذلك بمثابة تنبؤ بحدوث أمر ما إذا توفرت الشروط المؤدية إليها، كما يحدث - مثلا - في تنبؤات الأحوال الجوية، ولكن المسألة من وجهة نظر علمية تحتاج إلى متخصص في كل ميدان على حدة ليتمكن من حصر الظاهرة في مجال معين يتحكم في قوانينها، وتحتاج فوق ذلك إلى استقرار، وإلى وسائل وأدوات، وإلى علم يعين على التسجيل المنظّم لشروط حدوث الظاهرة ، وبيان كيفية تفاعل تلك الشروط. (٨٩)

---

(٨٧) حديث عن المستقبل، محمد العبدة ص ٨- ٩.

(٨٨) المرجع السابق ص ١١.

(٨٩) السنن الإلهية في الأمم والأفراد، عاشور ص ١٢٢.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد ..

فقد تم البحث ، ولله وحده المنة والفضل ، وهنا نأتي على أهم نتائجه وهي :

١- أن إعطاء القيمة للمستقبل عمل له أهميته، وجهت له الأديان، ونادت به الفطرة.

٢- أن العمل والتخطيط للمستقبل، يكون لتعظيم الأرباح، وتقليل الخسائر.

٣- أن المستقبل رسالة تستحق أن يسخر لها جزء كبير من العمل والتفكير، وبما أن الناس يعملون دائماً باهتمام للمستقبل فإنهم يختلفون في نوع المستقبل المنشود، ومدة التخطيط له، وآلية ذلك.

٤- كما أن مسافات الاستشراف من أهم مواطن التباين بين الناس، فنجد دول العالم الثالث تفكر نظرياً على مدى خمس سنوات قادمة، وترى في هذا عمقاً مستقبليا بعيداً، وقد تلهي به صحافتها ومثقفيها ومؤسساتها، بينما قد تكون الفكرة الحقيقية لها تمضية اللحظة، ثم تكتشف بعد خمس سنوات أن مشكلاتها زادت. بينما تتحدث الدول الغربية - الغالبة في هذا الزمن- عن سيادة المدة نصف قرن، ويرى المحافظون الجدد التفكير للمستقبل على مدى قرن أو ما سموه بـ"القرن الأمريكي"، وهنا نلمس فارق التفكير والهمة بين تخطيط قصير المدى ، لمدة خمس سنوات، وما يناوئه ممن يتشبث بالصدارة وقيادة العالم والتخطيط لقرن قادم، فالمتمكن من الحاضر ، وصانع القرار الآن يصمم على امتلاك قرن آت، تاركاً للقادمين معالم للسيطرة على قرار قرون قادمة [٩٠].

٥- أن في مسيرة الأمم التي صعدت يقدح الدين شرارة التطور الأولى فتحيا الروح ثم تقوم السياسة بتنظيم الطور الثاني ثم الاقتصاد بالطور الثالث، شيء من هذا يحدث في عالم الإسلام اليوم، وهمة للمستقبل تلوح ، وبعض نور العقل يستبصر في الدين، وكثرة في السكان [٩١].

٦- أننا نعيش فترة انتقالية كبرى ، فنحن لسنا في نهاية التاريخ ؛ بل في بدايته، فالعالم أكبر من أمريكا، ولا بد للعقيدة الصحيحة أن تنتج آثارها، وأن تنتج مدنية صالحة خاصة بها.

٧- أن الأمة المسلمة لها قيمتها الكبيرة، ولها وزنها ، والله سبحانه جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، فهذه الدعوة هي عماد الناس ، وهذا يفرض على المسلمين مسؤولية كبيرة لمقاومة الفساد في الأرض ، والإصلاح لا يتم في ليلة واحدة ، والخير لا يأتي دفعة واحدة ، وسنة الله في خلقه التدرج والنماء ، وواجب الفئة

---

(٩٠) ملامح المستقبل، الأحمري ص ٨- ٩.

(٩١) المرجع السابق ص ١٠.

المستنيرة أن تقوم بالتمهيد لهذا الإصلاح ، يجب أن يتعاون الفقيه والمفكر لبيان القضايا الجوهرية ، والبناء والتأسيس ؛ للخروج من عنق الزجاجة [٩٢].

توصية

بما أن المسلمين اليوم يعايشون أزمات متلاحقة تضرب في جوانب حياتهم ودولهم كلها بلا استثناء، وأن الأزمة في حقيقتها مقيمة مستقرة في ذواتنا وشخوصنا، وما الأزمات الطارئة إلا بعض تجلياتها وآثارها، وكأن العالم الإسلامي في حالة مخاض متواصلة يجد متاعبها وآلامها، ويدفع ثمنها، ولكنه لا يشهد لها أثراً ولا يبصر لها نهاية. فإن الدور الأكبر يقع على كاهل أهل العلم ، لتبيين الحق للناس ، وكشف أحكام المشكلات .

كما تظهر الحاجة إلى مراكز البحث العلمي المختصة في التخطيط السليم ، والاهتمام بالمستقبل الواعد ، من خلال الدراسة المتأنية ، ولا مانع من الاستفادة ممن سبق في هذا المجال .

وذلك لأن التقصير في دراسة المستقبل واحتمالاته ورسم الخطط المكافئة تفريطاً في الضروريات وغفلة عما أوجب الله على العباد من التدبر والنظر والتخطيط ، ولعل من أثر ذلك الانشغالات الجزئية بهموم خاصة عن هم الأمة الكبير.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

[١] *الأدب المفرد*، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

[٢] *الاعتصام* ، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق : سليم بن عيد الهلالي ، الخبر : دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

[٣] *إعلام الموقعين عن رب العالمين (٧٥١هـ)*، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٣م .

[٤] *أنوار البروق في أنواع الفروق*، أحمد بن إدريس القرافي المالكي (٦٨٢هـ)، بيروت: عالم الكتب.

[٥] *الإيمان بالغيب*، بسام سلامة، الأردن: مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

(٩٢) حديث عن المستقبل، العبدة ص ٢٧- ٢٨.

[٦] *تاج العروس من جواهر القاموس* ، محب الدين السيد محمد الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (١٠٨٣هـ)، دار الهداية .

[٧] *التحرير والتنوير*، محمد الطاهر ابن عاشور (١٢٨٤هـ)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .

[٨] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (١٣٥٣هـ)، بيروت : دار الكتب العلمية.

[٩] *التعريفات* ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ)، تحقيق : إبراهيم الأبياري، بيروت : دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥.

[١٠] *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[١١] *تفسير النسفي*، عبدالله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ)، بدون ذكر طبعة.

[١٢] *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد* ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ)، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، المغرب : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ.

[١٣] *التوقيف على مهمات التعاريف*، محمد عبد الرؤوف المناوي (١٠٣٠هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، دمشق : دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

[١٤] *جامع البيان في تفسير القرآن*، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، بيروت: دار الفكر ، ١٣٩٨- ١٩٧٨.

[١٥] *الجامع الصحيح سنن الترمذي* ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

[١٦] *حديث عن المستقبل* ، د. محمد العبدة، القاهرة : دار الصفوة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

[١٧] *الذريعة إلى مكارم الشريعة*، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٠هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، القاهرة: نشر دار الصحوة.

[١٨] *الرؤى والأحلام في الفلسفة والعلوم والأديان* ، سامي أحمد الموصلي ، الأردن: دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

[١٩] *رد المحتار على الدر المختار* ، محمد أمين بن عمر ابن عابدين (١٢٥٢هـ)، بيروت : دار الكتب العلمية .

[٢٠] *الروح* ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥م .

[٢١] *السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي*، د. عبدالسلام السكري، بدون ذكر طبعة.

[٢٢] *السلسلة الصحيحة*، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الرياض: مكتبة المعارف.

[٢٣] *سنن ابن ماجه* ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار الفكر .

[٢٤] *السنن الإلهية في الأمم والأفراد* ، مجدي بن عاشور ، القاهرة : دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م .

[٢٥] *السنن الكبرى*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤ - ١٩٩٤.

[٢٦] *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*، المؤلف: أبو الفضل عياض اليحصبي (٥٤٤هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٩- ١٩٧٩.

[٢٧] *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل* ، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨م .

[٢٨] *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد بن حبان بن أحمد (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

[٢٩] *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م.

[٣٠] *صحيح الترغيب والترهيب* ، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة الخامسة.

[٣١] *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[٣٢] *صحيح وضعيف الجامع الصغير* ، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، بيروت : المكتب الإسلامي .

[٣٣] *صناعة المستقبل* ، خليل صقر ، بيروت : دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

[٣٤] *ضوابط تعبير الرؤيا* ، أ د. عبدالله بن محمد الطيار ، الزلفي: دار المتعلم للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

[٣٥] *عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي* ، عثمان جمعة ضميرية ، راجعه: ناصر الراشد، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[٣٦] *فتح الباري شرح صحيح البخاري* ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ.

[٣٧] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير* ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، بيروت: دار الفكر ، ١٤٠١- ١٩٨١.

[٣٨] *في ظلال القرآن* ، سيد قطب (١٣٨٧هـ)، بيروت القاهرة : دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

[٣٩] *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، عبد الرؤوف المناوي (١٠٣٠هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦.

[٤٠] *القاموس المحيط*، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦- ١٩٨٦.

[٤١] *لسان العرب* ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، بيروت : دار صادر ، الطبعة الأولى .

[٤٢] *لماذا الخوف من المستقبل* ، عبدالعزيز بن عبدالله الحسيني ، الرياض : دار القاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

[٤٣] *مجموع الفتاوى* ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٤٨هـ)، بدون ذكر طبعة.

[٤٤] *مختار الصحاح* ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (٦٦٠هـ)، تحقيق : محمود خاطر ، بيروت : مكتبة لبنان ناشرون ، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

[٤٥] *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين* ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت: دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م .

[٤٦] *المستدرك على الصحيحين*، محمد بن عبدالله الحاكم (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

[٤٧] *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، القاهرة : مؤسسة قرطبة .

[٤٨] *المعجم الفلسفي*، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بيروت: عالم الكتب، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٤٩] *المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٣م.

[٥٠] *المغني* ، موفق الدين عبدالله بن أحمد ابن قدامة (٦٢٠هـ)، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

[٥١] *مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج*، محمد بن أحمد الشربيني الخطيب (٩٧٣هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية .

[٥٢] *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٠هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، بيروت : دار المعرفة .

[٥٣] *ملامح المستقبل* ، محمد بن حامد الأحمري ، الرياض : مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

[٥٤] *موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى*، د. يوسف القرضاوي ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

[٥٥] *النهاية في غريب الحديث والأثر* ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (٦٠٦هـ)، تحقيق : طاهر الزاوى - محمود الطناحي ، بيروت : المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

Looking Ahead between Law \ Shariaa & Superstition

Saleh Abdulaziz Al-Tewajry
Assistant Professor at Department of Belief & Modern Doctrines in Al-Qassim University in Buraidah

(Received 24/11/1429H.; accepted for publication 13/6/1430H.)

Abstract. Since looking forward to the future & longing for knowing it, is a matter which all souls are instinct upon it, so this instinctive need to know the unseen stimulated each person to take away to now it whether in true or false way, therefore true mixed with false. It is astonishing to find terrifying appearance to foretellers, diviners & astrologer under the absence of serious thinking regarding the future, whether it was personal future of an individual in his practical, economic & social life, or it was general future of nation or its communities, the researcher wants to make this research a legitimate foundation to the case of looking ahead, through :

Firstly :- Future & its definition, what is meant by it, illustrating the reason for paying it a great attention, and the view of legislation regarding to the future.

Secondly :- Superstition, its definition, reasons of its emergence, its sources, & aspects for spreading with presenting means of its resistance & annihilation & being it one of illegal means of looking ahead.

Thirdly:- looking ahead through its promotion & improvement ,with illustrating the most important legal way that may looking ahead through it: it is optimistic view with good thinking of Allah, & contemplating in universal marvels especially acts of reasons, with good planning, reading prospects & evidences, good vision and benefit from the past and the present.

Allah's Prayer may be upon Muhammad, his family and his companions.

مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٢)، العدد (٢)، ص ص ٣٩٣-٤٢٥ (يوليو ٢٠٠٩م / رجب ١٤٣٠هـ)

استفتاء القلب "دراسة تأصيلية"

وليد بن علي الحسين
الأستاذ المساعد بقسم أصول الفقه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٢٩/٤/١هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٢٩/١٠/٢٧هـ)

ملخص البحث. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تناول البحث دراسة أصل استفتاء القلب دراسة أصولية، وهو يعتبر من الموضوعات المستجدة نظراً لعدم وجود أية دراسة سابقة في الموضوع، وقد تضمنت خطة البحث ستة مباحث، وخاتمة، كالتالي:

المبحث الأول: في بيان معنى استفتاء القلب في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: في بيان الفرق بين استفتاء القلب وبين المصطلحات المشابهة وهي: مصطلح الإلهام، ومصطلح التحري.

المبحث الثالث: في بيان حجية استفتاء القلب.

المبحث الرابع: في بيان ضوابط العمل باستفتاء القلب.

المبحث الخامس: في بيان الحالات التي يؤخذ بها بفتوى القلب.

المبحث السادس: في بيان حكم عمل المكلف بفتوى قلبه.

وفي الخاتمة أوجزت أهم النتائج التي توصلت إليها.

أسأل الله - عز وجل - التوفيق والسداد، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.